روز 2
rose al youssef

فى ذكرى ميلاده الـ 55

عبدالله كمال

«ولكن» .. عاش القلم

55 عاماً على ميلاده

«هنا القاهرة»

قال لى زميلى أحمد الطاهرى، رئيس القسم الدبلوماسى بالجريدة، إنه كان يمكن أن يكون مانشيت الجريدة بالأمس (هنا القاهرة)، بدلًا من المنشور.. وهو كان (أهلًا وسهلًا).. وكان موضوع القصة الرئيسية للجورنال هو ردود الأفعال على قرار أوباما بتوجيه كلمته إلى المسلمين من مصر.فاستحسنت فكرة زميلى الشاب..وقررت أن أقتبسها وأوظّفها اليوم فى مقالى عن موضوع مختلف.. ولكنه ذى صلة.

أنت الآن معى فى مسرح قاهرى غير تقليدى.. حيث تثير علامات الاستفهام فى ذهنك فورًا (مصطبة من الرمال) تتصدر المشهد الثابت لعرض فنى أصبح من علامات ليالى القاهرة فى العام الأخير..وتسأل نفسك: ما هى فائدة هذه الرمال فى ديكور مسرحى غير موجود تقريبًا؟.. وحين يبدأ العرض سوف تكتشف أنك تجلس أمام قبر قرره مبدعو العمل الأشهر (قهوة سادة)..وفى مشهدهم الأول الملىء بالشجن والألم..يعلنون دفن ما يرثيه العرض بعد ذلك حتى نهايته.. القيم الأصيلة.. وعلامات الثقافة المصرية بكل تنوعاتها.. والشخصيات التاريخية.

كل فريق العمل الذى ارتدى ملابس سوداء يقيم الجنازة.. ويضع فى القبر ما يعتقد أنه يستوجب الحزن لأنه ذهب وراح.. وما يقول أننا نفتقده ويجب أن نستعيده.. مشربية تمثل العمارة الإسلامية الرائعة..(قلة ماء) تشير إلى حياة العذوبة العائلية.. راديو قديم يشير إلى تراث إذاعى تليد.. صور لروزاليوسف ويوسف وهبى ونجيب محفوظ وسعاد حسنى وعشرات غيرهم تشير إلى تاريخ مدهش من إبداع مصر المتنوع.. صورة سعد زغلول معبرة عن تاريخ من النضال.. صورة طلعت حرب التى تشير إلى تاريخ الرأسمالية المصرية الناضجة.. وعشرات من أيقونات ما نشتاق إلى تكراره.

بعد المشهد الجنائزى الصادم.. يعود فريق العمل إلى الخلف، بملابسه السوداء؛ حيث يتناول القهوة السادة، فى جلسة عزاء هى الإطار العام للمسرحية.. وبين مشهد وآخر يخرج بعض المعزين من الخلفية لأداء (اسكتش) موضوعى له علاقه بشكل أو آخر بأيقونة من تلك الأيقونات المدفونة..

وما بين القبر الرملى حيث جرت الجنازة فى مقدمة المسرح وبداية العرض..والعزاء المستمر فى خلفيته.. يدور العمل.. الذى على مأساويته كان مضحكا لدرجة لا يمكن احتمالها.. كما لو أن الرسالة الجانبية له هى أننا لن نفقد سلاحنا الأثير فى مواجهة مشكلاتنا وعيوبنا.. وهو النكتة.. تلك هى ثقافتنا.. وتلك ملامحها وأدواتها.

وأما الرسالة الرئيسية فهى لا تخفى على فطن.. وهى أننا قادرون على أن نواجه عيوبنا.. وأن نعترف بنقائصنا..وأن نسلخ ذواتنا نقدًا.. بطريقة تدق أجراس الإنذار داخلنا.. وحتى لو كنا نرثى ما قدمته ثقافتنا فى سنوات مضت.. فإن فينا جيلًا جديدًا(هو الذى يعبر عنه مبدعو العمل من فنانين رائعين) يعلن حنينه.. ويقول إن لديه الوعى.. ويؤكد انتباهه.. ويقدم نفسه مؤكدًا أن (القاهرة هنا).. وأن ما بين القبر الرملى والعزاء الخلفى توجد دلائل الحياة النابضة.. حتى لو كانت انتقادًا لاذعًا وحادًا للذات.

فينا فن لا ينضب معينه.. فينا شباب قادر على تأكيد محاكاة جريان نهر النيل..ففى النهر يجرى ماء الحياة.. وفى الناس يجرى الوعى بقيمة الحضارة.. فينا ثقافة متجددة.. فينا حنين إلى ماض نحن قادرون على استحضاره.. فينا قدرة علىَ أن نواجه عيوبنا.. ونكتشف أمراضنا.. فينا تحد هائل فيإمكانيات محدودة قدّم هؤلاء الشباب عَملهم المميّز والأشهر.. فينا بلد مؤسسى يمكنه أن يستوعب قدرات هؤلاء المبدعين الذين أنتجوا رسالتهم تلك من مؤسسة الدولة (وزارة الثقافة).. التى انتقدوها (الدولة عموما) ضمن مشاهد عرضهم.. فينا روح القاهرة ..وهى هنا.

لا يمكننى أن أقول أن فى هؤلاء الشباب فنانين من أولئك الذين تقدموا بالرثاء فيما يمثلون فى عرضهم غير المسبوق.. ولكن المؤكد أن بينهم من سيكون علامة لو واصل بدأب.. ولو استكمل استحضاره لروح السابقين فى تنمية مواهبه.. ولو أصر على أن يواصل رسالة بلده التى صرخ بها فى (قهوة سادة).. ولو بقى يقظ الذهن والرؤية إلى الرسالة التى قال بها دون أن يصرح..وهو أن لبلده صوتا.. ولقاهرته قيمة.. ولفنه تأثيرًا نوعيًا وتاريخيًا.

نعم، هنا القاهرة، وفى الغد أواصل تحليل هذا العرض الذى حضره مشاهير مصر والعرب خلال الأشهر الماضية وتقرر مد عرضه لأسابيع أخرى.. وغدًا أيضا أقترح فكرة على مبدعى العمل والمؤسسة التى رعتهم واحتوت إبداعهم .

مقال نشر بتاريخ ١١ مايو ٢٠٠٩ فى روزاليوسف اليومية

روزا 2

العامية في الصحافة

فى الصحافة المصرية الآن «سرطان» يتنامَى اسمُه «العاميَّة».. عديدٌ من الصُّحُف صارت تَستخدم العبارات غير الفصيحة فى كتابة الرأى والأخبار.. ولا يتم الاكتفاءُ بجملة هنا أو هناك على سبيل التدليل.. أو الاقتباس؛ وإنما يصل الأمرُ فى أحيان كثيرة إلى مانشيتات كاملة.. وهناك جريدة يوميّة خاصة تكتب عناوين الصفحة الأخيرة، كلها تقريبًا، بالعاميّة.

الظاهرة ارتبطت بالصّحافة الصفراء، ثم السّوداء، ومن عَجَب أنها بمُضىّ الوقت راحت تتسرب من الصحافة الخاصة إلى بعض الصحف القوميّة، وإن كان ذلك موجودًا على خَجَل وفى بعض المتون وقلب الموضوعات.. وليست المانشيتات.

وأسَمِّى ذلك سرطانًا، من دون مبالغة؛ لأنه مرضٌ خطير وقاتل، وهو يُعَبّر عن عجزٍ لُغوى.. وفقر فى المفردات.. وعدم تمكّن من السيطرة على الفُصحَى.. وهو أيضًا دليلُ مُشكلة مهنية.. وتجسيدٌ لمستوًى ثقافى يتراجع يومًا تلو آخر.. خصوصًا فيما بين أبناء المهنة التى حرفَتُها فى الأساس هى اللغة.

ولعل هجومَ العاميّة له خلفيات تاريخية، إذ كان موجودًا من قبل فى صحف ما قبل الثورة، وارتبط أيضا بصحافة محدودة المستوى والقدرات، ولا أظن أن مصرَ عرفت جريدة متماسكة رصينة لجأت إلى ذلك الأسلوب.. إلا إذا كان لدَى أحد معلومة أخرى يمكن أن يرُدَّ بها على ذلك.

وبغَضّ النظر عن مَرحلة لجُوء جريدة المساء فى بعض المراحل، ومن بعدها «الكورة والملاعب» فى مانشيتات الرياضة، إلى استخدام عبارات وترديدات الجماهير في مدرجات الدرجة الثالثة فى الصفحات الأولى والأخيرة إبّان المباريات المثيرة؛ فإن الأمْرَ الآن له مدلولات سياسية ومهنية.. ولا يجد رادعًا فى ضوء غياب النقابة عن الاهتمام بشئون المهنة.

الصحف الآن تلجأ إلى العاميّة كنوع من التبسيط، المخل، الذى يظن أن فى ذلك اقترابًا من الناس.. وابتعادًا عن الرسمية.. وهو أيضًا تعبيرٌ عن حالة «التظاهر» التى تحوّلت إليها صحافة المنشورات.. وفى الوقت نفسه هو أمرٌ ينطوى، دون إعلان، على رغبة فى عدم الالتزام بالحقائق والمصداقية التى تفرضها «الفُصحَى» على كاتبها.

بمعنى أوضح، «الفُصحَى»، تفرض على الصحفى أن يكون دقيقًا.. وخاضعًا للمعايير المهنية.. أمّا «العاميّة» فإنها إعلانٌ تحلل من القيم، وميثاق الشرف، وتخلّ عن الالتزامات القانونية، أى ببساطة أن الصحفى الذى يكتب بالعاميّة يقول إنه «يدردش».. أو «يَلغو»، وإن كان يدّعى أنه يتباسَط لكى يصبح قريبًا من الناس.

وليس فى ذلك تباسُط، بل هو «تهابُط»، ويُفترَض فى الصحافة أن ترتقى بأساليب وثقافة الناس، باعتبارها أول أنواع الأدب الأوسع انتشارًا.. وإن كانت ليست إبداعًا.. والواقع أن الحديث عن الاقتراب من الناس لا ينبغى أن يأخذ سياقًا شكليًا؛ وإنما فى المضمون.. وفى قلب الموضوع والاهتمامات.. وإلا فإن علينا أن نقطع ملابسنا وأن نلتزم بمستوى محدد من الأخلاق والنظافة إذا كنا نريد أن نُعبّر عن هموم ومشاكل العشوائيات.

لا نريد صحافة مُعقّدة، كما أننا لا نوافق على صحافة مُبتذلة، و«الفُصحَى» فيها مساحات عريضة لمن هو قادر عليها ومتمكن من أدواتها، وبلغة تكون واضحة للناس دون تعالٍ، والسكوت المهنى على سرطان العاميّة يعنى أن نقبل بعد وقت وجيز رسوخ ظاهرة مانشيتات الشتائم والعبارات المنحطة.. التى لا تتضمن معلومة؛ وإنما تمثل أقوالًا فارغة.

لا ينبغى على المجلس الأعلى للصحافة أن يتجاهل هذه الظاهرة، ومن الواجب على مجمع اللغة العربية أن يواصل مناشداته، للالتزام باللغة الفُصحَى التى هى وعاء ثقافة الأمّة، ومن الواجب أن نكرر نداءَنا لنقابة الصحفيين.. لعلها تتدخّل.. وتخرج من غفوة عدم الالتزام المهنى.

مقال نشر بتاريخ ١٥ مايو ٢٠٠٧ فى روزاليوسف اليومية

55 عاماً على ميلاده

ممنوع الاقتراب

إلى أى مدى تؤمن النخبة المصرية بالديمقراطية؟ وما مستوى إيمانها بحرية الرأى؟ ربما يبدو السؤال غريبًا فى ضوء أن النخبة تصرُخ كل يوم لكى تطالب بمزيد من الديمقراطية وحرية الرأى.. لكن واقع الأمر أن تلك النخبة لا تؤمن بذلك حقًا.. وهى إنما تتكلم عن الرأى والرأى الآخر.. حتى لحظة معينة.. عندها ينهار كل شيء.

هذه اللحظة «اختبارية»، وهى تكشف أن كل فرد فى النخبة يقبل الديمقراطية ما دامت تتكلم عنه ولا تقترب منه.. ويوافق على حرية الرأى إذا ما وافق الجميع على رأيه.. لكن.. إذا خالف أحدهم موقفه.. أو عارض رؤيته.. فإن هذا الداعى إلى الديمقراطية يتحول إلى ديكتاتور صغير.

لم أكتشف هذه الحقيقة المُرة فجأة؛ بل إننى أتعايش معها يوميًا، وقد وصلت إلى حد الاقتناع بأنَّ بعض عتاة المدافعين عن حرية الرأى هم أبطال فى تمثيلية، يقولون ما لا يؤمنون به، ويرددون ما لا يوافقون على أن يُطبَّق عليهم، لغو فى لغو.. وادعاء فى كذب.. ومواقف مخادعة وغير صادقة.

لقد واجهت هذا خلال الشهر الأخير ثلاث مرات على الأقل.

مرة حين تبنيت موقفًا محددًا من أزمة القضاة، ومرة حين أعلنت رؤيتى فى فيلم «يعقوبيان»، ومرة حين رسَّخت وجدَّدت ما أتبناه عادة فى ملف الصحافة والصحفيين، مواقف لها سياق معلن.. وأسباب واضحة.. وتتحصن بالرغبة فى الجدل وخوض النقاش حول كل نقطة.

على الجانب الآخر كان هناك دائمًا من يتضح أنه لا يقبل حرية الرأى، ويعتبر أى رأى ضده هو موقف شخصى لا موضوعى، ويريد من الآخرين أن «يبصموا» على ما يقول.. ولا يريد من أى أحد أن يناقشه.. ولو وصل الأمر إلى حد «الأمصة».. ولسان الحال يقول: «مش لاعب».

حسنًا، هل هذه النخبة هى نخبة حقًا؟ أليس من المفترض فى النخبة أن تكون موضوعية.. وقادرة على التفاعل.. ولديها مصداقية؟! لماذا هى هشة إلى هذه الدرجة؟! ولماذا هى شخصيَّة إلى هذا الحد؟!.. ولماذا لا تريد إلا أن تسمع صوت نفسها وحدها؟! لماذا تنظر إلى الحوار على أنه مونولوج.. لا ديالوج.. لماذا تريد أن تقف منفردة تستمع إلى صدى صوتها؟!

لن ينصلح حال هذا البلد إذا ظن كل منا أنه يقول الحق وحده.

مقال نشر بتاريخ ٩ يوليو ٢٠٠٦ فى روزاليوسف اليومية

روزا 2

متحف أيمن نور

كنت قد قرَّرت أن أتوقف عن التعليق على ملف أيمن نور، بعد أن صدر حكم قضائى بسجنه.. عقابًا له على جريمة تزوير التوكيلات التى قدَّمها لتأسيس حزبه.. ففى نهاية الأمر صار أيمن سجينًا.. وأيًا ما كان اختلافى مع ما يقوله من داخل السجن فهو رجل حبيس فى زنزانة.

لكنَّ خبرًا عجيبًا نشرته جريدة «المصرى اليوم»، للصحفى المتخصص فى شئون أيمن نور المحرر مجدى سمعان، على لسان زوجته جميلة إسماعيل.. جعلنى أضطر إلى أن أكتب مجددًا.. لا سيما أن الأمر لا يتعلق مباشرة بالمزيف الحبيس الذى يُوصف فى تقارير الصحافة الأجنبية بأنه زعيم المعارضة فى مصر.

السيدة جميلة، تدلّل من خلال الخبر على بيع سيارة المزيف الحبيس، المرسيدس، وتقول: إن سعرها السوقى لا يساوى قيمتها الحقيقية باعتبارها سيارة كان يستخدمها «زعيم مناضل».. وتوحى فى استعطاف مصطنع بأن على الأمة أن ترحم عزيزة قوم ذلّت.

والواقع أنه ليس على جميلة أن تبيع السيارة، بل أن تنتظر نخوة الرجال.. لعلهم يتحركون ويدفعون لها.. أقصد قيمة بناء متحف فاخر يحتوى كل مقتنيات الزعيم المزيف.. على أن توضع فيه البدل والكرافتات.. ورسالة الدكتوراه المشكوك فيها.. وأجهزة الكمبيوتر التى استُخدمت فى تزوير التوكيلات.. ونماذج مِن التوكيلات.. المزيَّفة.. ونماذج من الصحيحة.. على أن تكون هناك تذكرة دخول باهظة السعر لكل مواطن راغب فى الاطِّلاع على هذا التاريخ العظيم.

وليس على جميلة أن تبيع المرسيدس؛ بل يمكنها أيضًا أن تحول بيتها إلى متحف.. ومقابل رسوم.. وبحيث يدخل الزائر فيرى مقتنيات المزيف الحبيس.. هذا «الفاز».. وتلك القطع الفضية.. وهذه التماثيل الفخيمة.. ولا أظن أنه لدى السيدة جميلة مانع فى أن يقوم الزائر للمنزل المتحف بأخذ غطس فى حمام السباحة.. تيمنًا بالدكتور أيمن.. ثم يخرج ليطلع على عقود الصفقات التى كان يبرمها.. ومن بينها عقد العوامة التى بيعت بالملايين.. وغير ذلك من الآثار التى تخص أيمن بك.

فك اللّه سجنه بعد قضاء عقوبته القانونية كاملة دون نقصان.. ورحم الله السيدة جميلة التى تضطر الآن للتدليل على المرسيدس فى الصحف.. يا حرام!.

مقال نشر بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠٠٦ فى روزاليوسف اليومية

55 عاماً على ميلاده

إنهم يسرقون عمري

ماذا أملُك من حطام الدنيا؟ لا شىء سوى أفكارى وكلماتى. إذن ماذا أفعل حين أجدها تُسْرَق أمام عينى جهارًا نهارًا.. وبلا خجل؟.. لا أملك سوى أن أعلن ذلك.. فمن يقتبسها إنما يسرق عمرى عمليًا.

أنام أربع ساعات فى اليوم. لا أقضى مع ابنتى الوحيدة التى انتظرتها 14 عامًا سوى ساعتين فى الأسبوع.. إن قضيتهما. لا أخرج مع زوجتى إلا فى نفس الساعتين. لا أرى أمى إلا مرة كل شهر. وبعض أشقائى لم أزر بيوتهم منذ عام وأكثر. وأهلى فى بلدى يعتقدون أننى أتكبر عليهم لأننى لم أعد أودّهم وأزورهم منذ أشهر بعيدة.. وأصدقائى لم أتفاعل معهم قبل مدة طويلة.. حتى متعتى الوحيدة فى مسامرات الطاولة لم أقربها منذ أربعة أعوام تقريبًا.

وقتى كله، أى عمرى بصورة أخرى، ما بين مكتبى الشخصى والتقافز اللاهث بين مكاتب المسئولين ومصادر الأخبار والاجتماعات والمناسبات والاتصالات لكى أبقى فى لياقتى الإخبارية.. البقية الباقية ما بين الكتب والإنترنت والإدارة اليومية للعمل.. وعلىَّ، وسط كل هذا، أن أحتفظ بأكبر قدر من التركيز والذهن الجاهز.. أغالب نفسى وأجالدها لكى أحتفظ بمؤهلاتى وأنميها.. حتى السينما والأوبرا أذهب إليهما من أجل أهداف عملية وتثقيفية أكثر من كونى أتمتع بما أتابع.

بخلاف ذلك علىَّ أن أتابع كواليس وخفايا يدور فيها ما يدور.. وبعض ما يدور قد يستهدفنى ويستهدفنى بالفعل.. وعلىَّ أن أتيقظ لألعاب غير نظيفة صغُرت أو كبُرت.. ففى مصر لا يكفى أن تعمل وإنما عليك أيضًا أن تبذل جهدًا إضافيًا لكى تحافظ على فرصتك فى أن تعمل.. فالكثيرون لا يسعدهم أبدًا أن تعمل ويكون لطيفًا لهم لو أنك تعطّلت.

أقوم بهذا كله.. ثم يأتى أحدهم، من هنا أو هناك، فينقل من مقال، ويستولى على فكرة، ويقتبس من معنى.. بلا أى مواربة.. وبدون حتى أى تستر.. متجاهلاً أن للكتاب سياقات.. وللأقلام شرفًا.. وأن تلك الاقتباسات سوف تظهر فيما يكتبون على أنها نتوءات لأنها خارج طبيعة ما يكتبون.

كتبت فى مارس 2008 ثلاث مقالات بعنوان (الأولى بالرعاية)، وقلت فيها أن محدودى الدخل ليسوا هم الأولى بالرعاية، وإنما الطبقات الأخرى فى المجتمع.. ليس الأغنياء بالطبع.. هؤلاء يقودون أولئك.. وشرحت ما أقصد مرة تلو مرة.. وبدا فيما أكتب أننى أخالف توجهًا معلنًا للدولة التى تكرر كل يوم أنها يجب أن تنحاز لمحدودى الدخل.. ثم كان أن وجدت أحدهم يأخذ تلك المقالات ويحولها إلى مقال ممهور باسمه.

ولم يعد مفاجئًا، بل متكررًا، أن أجد أحد الزملاء يجمع فقرات من مقالاتى طوال الأسبوع، هو أو من يعدون له مادته، ثم يضمّنها فى مقاله فى نهاية كل أسبوع.. كما لو أننى غير موجود.. وكما لو أننى أغرف من بحر يجوز له أن يشاركنى فيه!

وفى الأسبوع الماضى نقل طاووس معروف تحليلاً كاملاً توزع على عدة مقالات لى عن حسنين هيكل، ثم قال إنها له، ولما وجد أن هناك من سينتبه إلى فضيحته قال إنه كتب فى وقت مبكر.. كما لو أننى سوف أصدق كذبته وأمررها له.

وعلى مدى أسابيع، وجدت زميلاً ينقل ملفات كاملة من مجلة «روزاليوسف» ويعيد إنتاجها برمتها، وتقريبًا بنفس العناوين، فلما تكرر الأمر أرسلت له بشكل غير مباشر محذرًا من أننى سوف أنشر الوثائق.. فتراجع قليلاً.. ثم أنجرف إلى فخ من صنع يديه.. ونشر فصلاً من كتاب هو فى حد ذاته كان عبارة عن مجموعة تحقيقات نشرتها مجلة «روزاليوسف».

فيا أيها الزملاء المحترمون ابتعدوا عما أملك.. وما يملك زملائى فى «روزاليوسف».. هذا عمرى وعمرهم.. اقتنصوا جمالاً أخرى غير جمالنا.. رد الفعل قد يكون مختلفًا فى المرة المقبلة.

مقال نشر بتاريخ ٢٢ يونيو ٢٠٠٩ فى روزاليوسف اليومية

روزا 2

الموت قبل الخمسين

أما وقد أتممتُ عامى الرابع والأربعين، فإنَّنى أتعهد أمام نفسى بأننى إذا وجدت وقتًا سوف أؤلف، على الطريقة الأمريكية، كتابًا عن الرجل الأربعينى.. وأعتقد أن خبرة أربع سنوات فى هذه المرحلة العمرية تعطينى التأهيل الكافى لإتمام تلك العملية.

كل يوم تلاحقك النصائح.. لا بُدَّ أن تنتبه.. أنت الآن فوق الأربعين.. خد بالك.. أو ديره إذا كنت تنطق الكلمة بالطريقة الخليجيّة.. لا تدخن.. خفف الأطعمة.. مارس الرياضة.. قلل ساعات العمل.. الجميع ينبهك إلى مجموعة هائلة من الملاحظات.. تقريبًا لا أنفذ منها شيئًا.. فأنا أدخن كثيرًا.. وأعمل كثيرًا.. ولا أجد وقتًا للرياضة.. وأتعامل مع الأكل باستمتاع يجعلنى لا أقاومه.. ومن ثم فقد اقتربت النهاية وفقًا لمدونة النصائح.. فاللهم أحسن خاتمتنا.

هذا يقول لك تناول أقراص فيتامينات كى تعوضك، فالرجل فوق الأربعين يحتاج إلى مثل هذه الحبوب فى ظل نظامنا الغذائى المرتبك.. وآخر يقول إن عليك أن تتناول حبوبًا لتنشيط الذهن.. كل من تخطى الأربعين يفعل هذا.. وثالث يؤكد عليك بالتحليل الدورى لمعدلات الكوليسترول.. فتترحم على أيام قريبة كان الناس فيها يفخرون بأنهم تربوا على السمن البلدى.. ودهن العتاقى.. ومؤخرات الخرفان.. ولهذا فإن بنيتهم قوية.. ونحن لا نتمتع بذلك.. أين هؤلاء من ملاحقات أطباء التحذير من الكوليسترول!

وفى كل يوم أنبه نفسى إلى أن علىَّ أن أنصاع.. وأن أحافظ على صحتى.. وأرتب شئونها.. بدلا من أن تفاجئك ذبحة أو جلطة.. وأقول إننى من الغد سوف ألف (تراك النادى الأهلي).. ويأتى الغد فأجدنى داخل السيارة أنهى عشرين مكالمة قبل التاسعة صباحًا.. وأدلف إلى دوامة الحياة.. مؤجلا عملية المشى إلى الأسبوع المقبل.. وفى كل يوم أقول إننى سوف أتوقف عن تناول الخبز.. حتى أذهب إلى طبيب الريجيم.. وقد يكون هذا مفيدًا للموازنة العامة لأننى سأوفر قدرًا من دعم الخبز.. ثم تحين ساعة الغداء.. فأؤجل تعهدى للموازنة العامة إلى أسبوع جديد.. ولا أعتقد أن وزير المالية سوف يلقى لى بالا أنا بالتحديد.

أستطيع أن أفاجئك بأننى قد دونت رقم طبيب الريجيم على موبايلى وعلى قصاصات ورق صغيرة بضع عشرات من المرات.. وإننى قد هاتفته ثلاث مرات على الأقل وأخذت منه موعدًا كى أذهب إليه.. ولم أفعل.. وفيما يبدو فإنَّ زوجتى سعيدة بهذه الحالة.. وتضفى مزيدًا من المشهيات على الوجبات، لأن زيادة الوزن تؤدى إلى نفور المعجبات.. ولا أقول فقط ابتعادهن.

كنت فيما مضى، وأنا فتى يافع فى مقتبل العمر أتضايق جدا لأن معصمى رفيع.. وأقف أمام المرآة.. وأستعير (مازورة) كى أقيس محيط الصدر.. متسائلا: هل سأكون لائقا إذا ما تقدمت لامتحان القبول فى كلية عسكرية؟ فأنزعج لأننى أحتاج إلى 3 سم إضافية.. وهأنذا أحلم بتلك الأيام التى لا يمر فيها موسم دون أن أغير مقاسات القميص.. وأتحسر على مجموعة من البدل.. وذات مرة ذهبت إلى طبيب وعدنى بأننى سوف أتخلص من كل دولاب ملابسى.. لأن وزنى سوف ينقص.. فتراجعت عن فكرة الريجيم برمتها، لأن مجموعة ملابسى وقتها كانت تعجبنى ولا أريد أن أفرط فيها!

المشكلة هى أننى أركز على تنمية سرعتى فى كتابة الكلمات على الكمبيوتر أكثر من أن أحصى عدد خطواتى اليومية.. وإننى أجالد نفسى ذهنيًا.. فأنصاع لكتاب.. وأحاصر نفسى أمام عملية بحث على شبكة المعلومات.. أكثر من محاولة دفع نفسى إلى تمشية صباحية ولو فى الطريق إلى المكتب من ميدان التحرير.. وحين أجلس إلى أى من مصادر معلوماتى أصادف عشرات من النصائح التى تخص من تخطى الأربعين.. لاسيما أولئك الذين لم يروك منذ فترة.. ويهمون بأن يعبروا عن دهشتهم لأن وزنك قد زاد.. وعليك أن تنتبه.. ويدقون فى أذنك أجراس الخطر.

وأما أهم ما يضايقنى فى هذه العملية الفاشلة التى أحاولها كل أسبوع دون جدوى.. فهى أن موجهى النصائح هم غالبًا من أولئك المتعايقين الذين تخطوا الخمسين.. ويعتقدون أنهم قد مروا من مأزق العقد الرابع.. وعليهم أن يوجهوا النصائح لمهمل مثلى.. يضيع عمره وصحته فى الأكل والتدخين.. وزيادة التوتر الناتج عن ظروف مهنة سخيفة.. نعشقها وتدمرنا حتى إننى تمنيت أن أصل إلى العقد الخامس لكى أتحول إلى ناصح لهؤلاء الذين بلغوا الأربعين بعدى.

سوف أضع هذا المقال على موقعى على الإنترنت.. وسوف يعلق متساخف: أنت تعانى من زيادة الوزن فى بلد لا يجد فيه الفقراء ما يأكلون.. ووقتها سوف يزيد توترى.. فأهدئ نفسى بمزيد من التدخين.

مقال نشر بعمود «ولكن» فى روزاليوسف اليومية

خواطر سفر..

المصور العالمى
خـالد أبو الدهب

حكاية الست جميلة

الست جميلة؛ امرأة نوبيَّة اسمُها «جميلة»، وهى جميلةٌ بالفعل؛ أطلق عليها والدُها ووالدتُها هذا الاسم لأنها فعلاً جميلة؛ وتعيش هذه المرأة البسيطة فى واحدة من أكثر الجُزر النوبية صعوبة فى العيش؛ حيث تتسم بطبيعة جبلية مرهقة جدّا فى التنقل؛ الست «جميلة» اعتادت مثل باقى سيدات الجزيرة النزول إلى شاطئ النيل والصعود مرّة أخرى؛ حيث تكمن البيوت؛ ورُغمَ وجود مرشح للمياه فى هذه المنطقة؛ فإنه لا يعمل للأسف، وهو ما جعل المياه تندر فيها؛ ومع الوقت ومع عدم توافر خدمات على الجزيرة من مدارس أو وحدة صحية؛ هاجر معظم سكانها، وممن بقوا عليها الست جميلة، التى تسكن بيتها مع ابنتها الشابة المثقفة «سميرة»؛ لفتنى البيت من الخارج بينما كنت أقوم بجولة بداخل الجزيرة، المَنظر الخارجي للمنزل ساحر ببساطته؛ خصوصًا أنه مبنىٌّ بالطريقة النوبيّة القديمة الأصلية، وبمجرد أن اقتربت من المنزل رأيت مقامًا صوفيّا على أحد أطرافه وعليه عَلم أخضر يُعد من أعلام الصوفية؛ دخلت المنزل عندما فتحت لنا البابَ الست «جميلة» واستقبلتنا استقبالا رائعًا، أبهرنى المنزل من الداخل كما أبهرنى من قبل من الخارج، فجأة انتابنى شعورٌ وكأننى دخلت معبدًا فرعونيّا بكاملِ هيبته ورَونقه؛ فمن المتعارف عليه أن بيوت النوبيين وأيضا شوارع الحى النوبى على درجة عالية جدّا من النظافة والنظام، المنزل لونه أبيض وتحمل جدرانه بعض النقوش النوبية القديمة؛ ويسود الزخارف اللون الأزرق النيلى، ومُعلق على الباب من الداخل قرنُ ماعز وكف ورأسُ ثوم مجففة وفردة شبشب وأخيرًا جُعرانة زرقاء؛ للحماية من الحسد والطاقة السلبية.. تحدثت معنا السيدة «جميلة» وأخبرتنا عن المقام الذى يكمن بخارج منزلها، وقالت: لقد حلمت بولىّ من أولياء الله وجاء ليُصَلى فى هذا المكان.. وطلبَ منها أن تبنى له مقامًا؛ وبالفعل صدقت الرُّؤيا وبَنَتْ له مقامًا على طرف منزلها وتحتفل به مع باقى الأولياء فى مواسم الحضرات الصوفية وموالد النبلاء؛ حيث توجد بالفعل فى أسوان مقابر النبلاء ويتم عمل مولد لها كل عام. وطول فترة مكوثنا فى منزل الست «جميلة» لم تخل عيناها من الابتسامة والدعاء لنا، وتتسم هذه السيدة العظيمة بالصبر وقدرة التحمل العجيبة على المُضى قُدُمًا فى الحياة رُغم ظروف العيش شبه المستحيلة على الجزيرة؛ خصوصًا مع تقدُّم سنّها؛ ولكنها كالنخيل تمتد جزورُها فى عُمق الأرض ولا تقوَى على الحياة خارج الجزيرة.. إن الذكريات والأهل والصحبة وإن باتت شبه مهجورة فهى باقية مثل جدودها الفراعنة العظماء ظلوا على مدار السنين منتمين للجذور ومرتبطين بالأرض؛ ودَّعَتنا الست «جميلة» بابتسامتها الجميلة وعيونها المليئة بالحب والحياة؛ وتركت فينا بصمة لنموذج من العطاء والرضا والصبر والحكمة يحتذى به على مَرّ العصور. ■

GERMAN
لكن ابن بلد وصاحب صاحبه

هناك دائمًا رسائل يرسلها لنا الله لكى نتعلم منها حتى لو كانت الرسالة من خلال كائن أخرس.. ففى صباح أحد الأيام وكالعادة كنت أمارس مهامى المنزلية عندما سمعت صوت ابنى ينادى علىَّ ليخبرنى بأنه مساء الليلة السابقة حدث له موقف غريب جدًا.

القصة بدأت عندما كان هو وصديقه فى طريقهما للمنزل قرب الفجر فى شارع مصدّق بالدقى وأثناء سيرهما لمحا كلبًا يجلس وحيدًا فى الشارع، لم يكن هذا الشىء الغريب فى المشهد، بل كان نوع الكلب وشكله ونظافته- وهو من سلالة (جيرمن شيبرد)- كلها أسباب لغرابة مَشهد وجوده بالطريق وحيدًا.

سحر أحمد

بما أن ولدى من محبى الكلاب نزل من السيارة واقترب منه وأخذ يربت على الكلب ويهدئ من روعه لمدة دقائق، ثم رجع ولدى للسيارة ظنًا منه أن صاحب الكلب على مَقربة منه وربما ذهب لشراء شىء أو إحضار سيارته، وسيعود للكلب فترك الكلب وعاد للسيارة وانطلق بها مع صديقه، ولكن الكلب أخذ يعدو وراءهما من شارع مصدّق حتى شارع جامعة الدول العربية وهو ينبح بشكل لا يَنم عن مطاردته لهما بشكل عدائى، ولكن كأنه غارق وتعلق بقشة؛ فتوقف ولدى مشفقا على الكلب وأخذه وعاد للمكان الذى كان جالسًا فيه وانتظر وقتًا طويلًا ربما عاد صاحبه، ولكن بلا جدوى، فاضطر لاصطحابه إلى شقة خالية لا نتردد عليها كثيرًا لأنه يعرف رفضى لإحضار أى حيوانات للمنزل وقدّم له الطعام والماء، ثم عاد للمنزل واستيقظ بالصباح يخبرنى بالقصة ويرينى صور الكلب ويقول لى إنه لم يَرَ فى حياته كلبًا بهذه النظافة والتربية والتدريب، والأغرب أن الكلب رفض أن يقترب أو يتعامل مع أى أحد من أصدقاء ولدى وحتى الطعام والشراب والاستجابة للأوامر، ولاحظ ابنى أن الكلب له ذوق راق فى الطعام، ولاحظ أيضا أنه حزين ومكتئب طوال الوقت، فاقترحتُ على ولدى أن يعود إلى نفس الشارع ويُعلق لافتة بها رقم الموبايل ويكتب لمَن فقدَ كلبًا يتصل بهذا الرقم، وبالفعل ثالث يوم رجع إلى الشارع ووجد سوبر ماركت فسأل صاحبه: هل يوجد أحد فى الشارع فَقَدَ كلبًا «جيرمن شيبرد»؟ وكانت المفاجأة أن صاحب السوبر ماركت أكد له أن أصحاب الكلب يبحثون عنه فى كل مكان منذ أيام، وأن الأمل فى العثور عليه كان ضعيفًا لأن أى شخص سيجد كلبًا بهذه المواصفات لن يعيده أبدًا.. وقام بالاتصال بالشاب صاحب الكلب وأخبره بأن هناك شخصًا عثر على الكلب ويريد إعادته، وسرعان ما جاء صاحب الكلب يكاد يبكى فرحًا غير مُصَدّق أنه عثر على أليفه الذى ضاع.. وحكى لولدى أن أخاه الأكبر هو مَن ربى هذا الكلب منذ كان جَرْوًا صغيرًا، ولكنه سافر للخارج منذ فترة، ومن وقتها أصيب الكلب بالاكتئاب، ويومها غافلهم وفتح باب الشقة ونزل للشارع يبحث عن صاحبه الذى ربّاه ودرّبه، ولكن الذى حدث أنه تاه ولم يستطع العودة للمنزل.

أثناء تسليم الكلب إلى صاحبه

وقال إنه كان قد فَقَدَ الأمل فى العثور على الكلب بعد اختفائه وكان يبكى لأمه التى قالت له بالحرف: (ياحبيبى متزعلش نفسك مسير ابن حلال يلاقيه ويرجّعه)، وكان أكثر ما يزعجه أن أخاه سيعود من السفر ويعرف أنهم لم يعتنوا به وسيحزن جدًا لضياعه.

سمعت القصة كلها ولم أتخيل أن هذا الكائن ذا الشكل المخيف أحيانًا يكون بداخله كل هذه المشاعر والوفاء، وكم كنت مخطئة عندما منعتُ ابنى من تجربة مماثلة إذا ما اقتنى كلبًا وقام بتربيته فهى تجربة تُعلّم الإنسانَ الوفاءَ وترقق قلبَه وتشعره بالمسئولية تجاه روح يرتبط بها وترتبط به. لا تحرموا أبناءَكم من هذه التجربة وتعلموا معهم. ■

مدينة الطالبات

2 آباء لا يعرفون الرحمة!

للمَرَّة الأولى، أشعر أننى تحررتُ من كل شىء، لن أخضع لأحد بعد الآن، فالكل تخلّى عنّى عندما احتجتُ إليه، الكل تركنى فريسة لمستقبل غامض.. لأعيش ليالى طويلة يكسوها السوادُ، وأتحمَّل ما لا تستطع أنثى تحمُّله، حتى وصلتُ إلى حافة الضياع عشرات المرّات، لكنّ شيئًا واحدًا كان يدفعنى للمقاومة، وبكل ما أوتيت من قوة؛ هو تلك الصفعة التى تلقيتها قبل 4 سنوات، فرُغْمَ أنها قتلتْ كثيرًا بداخلى؛ فإنها أحيت الكثير والكثير.

حلقات يكتبها:

هانى دعبس

الآن أجلسُ فى مطار بيروت، أنتظر الطائرة المتجهة للقاهرة، بعد رحلة دامت أسبوعًا، كتبت لى حياة أخرى، أو بالأصح أحيتنى من موت؛ عشت داخل مقبرته أيامًا وأيامًا، أنتظر مصيرى؛ بين الجنة أو النار.. لكننى وسط كل ذلك، استطعت المقاومة، ولم أستسلم أبدًا، حتى قضى الله أمرًا كان مفعولًا؛ لأجد الدنيا تبتسم لى فجأة، وأدخل أخيرًا فى زمرة سُكّانها السعداء.

«مدينة الطالبات» كانت كلمة السّر، رُغْم! أننى التحقت بها وسط عاصفة مخيفة، أفقدتنى توازنى لأسابيع طويلة، حتى استطعت التماسُك رويدًا رويدًا، وبصعوبة شديدة، فلا أنسَى تلك الليلة العصيبة؛ الأولى لى بين فتيات رأيتهن لأول مرّة، وأصبح مطلوبًا منّى أن أغمض عينى بينهن، بعيدًا عن سريرى المتهالك فى منزلنا الصغير، الذى خرجت منه إلى المجهول، متحدية الجميع، بعد تلك الصفعة النارية، التى لاتزال تلهب وجهى كلما تذكرتها.

كان والدى يريد أن يبيعنى بثمَن بخس، لرجل يكبرنى بعشرين عامًا، ولِمَ لا؟! وكل بنات قريتى لم يُكملن تعليمهنّ، وتزوجن بعد الثانوية، الصناعية أو التجارية، اللهم إلا قليلات التحقن بالثانوية العامة، وتمت خطبتهن فور انتهاء موسم الامتحانات، لأبناء أعيان القرية، الذين يريدون الزواج من صاحبة مؤهل عال، كى يتفاخروا بذلك بين أصدقائهم، ليُحَمّلوا الفتيات الصغيرات عبء الزواج والدراسة معًا، ويتزوجونهن بعد أشهُر قليلة من التحاقهن بالجامعة؛ تحديدًا فى إجازة نصف العام؛ ليمارسوا عليهن جميع أنواع التسلط والتحكم طوال سنواتهن الدراسية، التى غالبًا ما تنتهى بوجود طفل أو اثنين؛ لتتحمل الأُمّ الصغيرة المسئولية مبكرًا، وسط مجتمع لا يهمه أى شىء، سوى السّتر، والمال طبعًا.

كنت أضرب كفًا بكف، والحزن يعتصرنى، ومعه الشفقة، عندما أتلقى خبر خطبة إحدى زميلاتى فى الثانوية العامة، وأعلم أنها ستدخل بيت الزوجية بعد انتهاء الامتحانات، وكأن الزوج المنتظر قرر أن يُدخلها فى عصمته؛ قبل ظهور نتيجتها، ليُملى عليها الرّغبات التى ستكتبها باستمارة تنسيق الجامعات، لكن حزنى وشفقتى كانا لتفكيرى فيما هو أبعد من ذلك؛ كيف ستؤدى هذه الصّبية امتحانات كليتها، وفى أحشائها طفل يلهو، كيف ستتحمل أعباء الزوجية والمذاكرة، ومعهما تَحَكمات زوجها فى كل شىء؟!

■ ■

مائة فكرة كانت تدور فى رأسى، لكنها جعلتنى أحسم مصيرى قبل نهاية امتحاناتى الثانوية؛ لأرفع شعار «لا زواج قبل التخرُّج»، وأتحدى إصرار والدى على الخلاص منّى بأى شكل، حتى يخلو له الجَوّ، ويتفرغ لزوجته الجديدة، التى تزوّجها منذ عام واحد؛ بعد مرور شهرَيْن فقط على رحيل والدتى؛ لينتهى ربيع حياتى، ويبدأ خريف مخيف، لم يكن يومًا فى حسبانى.

وقتها اعتصرنى الألمُ لدرجة أفقدتنى الإحساسَ، أصبح كل شىء بلا قيمة بعد فراق أمّى.. لم يكن لى سواها، ولم يكن لها غيرى، فأنا الثمرة الوحيدة لزواجها بوالدى، ابنتها الأولى والأخيرة، وصديقتها ومحل أسرارها، وشريكتها فى القهر والخيبة الثقيلة، التى دفعتنا الأقدار لها، بعدما اختارت لها زوجًا أنانيًا، وشهوانيًا، لا يهمه سوى ممارسة رياضته المُفضلة؛ الركض وراء النساء.

■ ■

ندمتُ بعد وفاتها كثيرًا؛ لقسوتى عليها أحيانًا، عندما كنت أحمّلها المسئولية الكاملة عن الحياة القاتلة؛ المليئة بالفضائح والإهانات؛ التى عشناها معًا؛ بسبب اختيارها هذا الزوج الفظ اللعوب؛ ليصبح والدى دون اختيارى.. إلّا أن كرهى للأخير تضاعَف بعد زواجه بأخرى، فلم يعد أمامه غيرى؛ كى يَسبُّه ويهينه لأتفه الأسباب، ويوجعه ويحرمه بسبق الإصرار؛ لأجد نفسى أتحوّل إلى خادمة فى بيتى، مُجبَرة على تنفيذ كل ما تأمرنى به زوجة أبى، التى تفنّنت فى إهانتى بكل الأساليب، لدرجة أنها ملأت قبضتها بالتراب يومًا، ورَمته على وجهى وسط أكبر شوارع قريتنا؛ ليشاهد الناسُ إهدارَها كرامتى.. فقط لأننى نهرتها بسبب سبّها لى بأمّى، عندما لحقتنى بعد خروجى من المنزل، عقب شجار طويل معها؛ لرفضها ذهابى إلى مَدرستى، وإصرارها على بقائى لخدمتها.

«نـدَى» هذا اسمى الذى كدتُ أكرهه؛ بسبب نـداءات زوجـة أبـى ليلًا ونـهـارًا، ونداءاتـه أيضًا، كانا يعاملاننى بقسوة لم أرَ مثيلًا لها، ويرهقاننى بطلباتهما التى لا تنتهى.. كانت تشعر بأنها سُلطانة تملك جارية، أمّا

هو فنسى أننى ابنته، وتفرّغ فقط للتفكير فى طريقة تخرجنى من البيت للأبد.. عنّفنى كثيرًا لرفضى الشباب الذين تقدّموا لخطبتى بعد دخولى المرحلة الثانوية، إلا أنّ أمّى كانت تقف بجانبى؛ لتشاركنى فى تحمّل إهاناته، وتشد من أزرى، مجففة دموعى بيديها، أمّا بعد رحيلها؛ فأصبح الضرب المبرحُ عقوبةَ رفضى لأى عريس؛ دون الاستجابة لصرَخاتى ولا توسُلاتى، لأذهب إلى مَدرستى فى اليوم التالى، بملامح غير ملامحى، ترسمها آثارُ الكدمات واللكمات.

■■

تحملتُ، رُغْمَ تعنُّتهما، ورغبتهما المُلحّة فى زواجى بأى ثمَن، والتى بذلا من أجلها كل موجع وبشع، يكفى أنها عندما كانت ترانى أمسك كتابًا، تغرّق أرضية المنزل بالمياه، وتطالبنى بمسحه كاملا، وهى تسبُّنى بأبشع الألفاظ، وتعايرنى بيُتمى ومذاكرتى، وكأن طموحى وصمَة عار، بينما اكتفى أبى بقطع المال عنّى طوال عامى الأخير فى الثانوية، لأجد نفسى مضطرة لبيع قرط أمّى وخاتمها.. كم كان هذا مؤلمًا على قلبى، بعتهما؛ وكأننى أتخلى عن روحى، لكن أمّى لن تحزن على ذلك بالتأكيد، لقد نفذت وصيتها الموجعة!

لن أنسى قصة القرط والخاتم ما حييت، فقبل وفاتها بأيام معدودة، فوجئتُ بها تُخرجهما من بين صدرها؛ لأراهما للمرّة الأولى، ثم اقتربتْ منّى وحدّثتنى هامسة، كأنها تفشى سرًا حربيًا، قالت إن والدى لا يعلم شيئًا عن هذا الذهب، الذى ورثته من أمّها، وظلت تخفيه طوال عقدَيْن من الزمن؛ لإبعاده عن جشع الرجُل صاحب النزوات.

يومها بكيتُ بحُرقة لا تختلف عن دموعى يوم رحيلها، شعرتُ بأنها تفصح عن سرّها بمرارة، وكأن إحساسَها باقتراب الموت يحاصرها، ويدفعها لوداعى قبل الموعد حتى تطمئن علىّ.. وبالفعل تركتنى أموت ألف مرّة من دونها؛ وأنا على قيد الحياة، فبعد أسبوع واحد، كانت المفاجأة المميتة، التى لم أحىَ بعدها، فرُغم أننى لاأزال أتنفّس؛ فإن جسدى أصبح بلا روح.

تأكدتُ يومَ العزاء أننى سأواجه العالمَ بمفردى، فلم يحضر أحدٌ من أهل أمّى، الذين قاطعوها منذ سنوات طويلة بعدما تحدتهم جميعًا؛ وهربتْ من الفيوم- مسقط رأسها- إلى الشرقية، وتحديدًا مركز منيا القمح، حتى تتزوّج والدى، الذى رفضته عائلتها بشكل قاطع؛ لأن سُمعته كانت تسبقه منذ شبابه، «عاطل وجاهل يمتهن صيد النساء، ويعيش على عَرَقهن».. هذه هى الأوصاف التى قيلت فى والدى؛ عندما سأل عنه جَدى لأمّى فى قريته، وللأمانة لم يكذب من وصْفه بذلك، والدليل أننى منذ أن وعيت على الدنيا، لم يمر عامٌ واحدٌ دون أن تحدث كارثة تكاد تعصف ببيتنا؛ سَبَبُها امرأة رافقها فى طريق الحرام، كفى ما قلت، الله حليم سَتّار.

لم تفارقنى دموعى ليلة واحدة، منذ رحيل أمّى؛ جَثتى على الأرض، وجدت نفسى فى جحيم، وحاصرتنى النارُ من كل جانب، عشت ليالى فوق سطح منزلى، كانت فى ظاهرها عقابًا لى على أشياء لم أقترفها؛ يوقعه والدى علىّ حتى يخْتلى بزوجته الجديدة فى الأسفل؛ لأسمع ضحكاتها الرقيعة وكلماتها المبتذلة،

«ندى» هذا اسمى
الذى كدت أكرهه بسبب
نداءات زوجة أبى ليلاً نهارًا

ويتسارع جريان دمعى، ويزداد معه نحيبى، لكننى كنت أفيق سريعًا، وأمسك بكتابى المَدرسى، علّه يخرجنى من هذا المستنقع الذى رُميتُ فيه بلا اختيار.

كنت أرتمى على الكتب طوال الليل، وأنام مع شروق الشمس، ولو كتبَ لى قضاء ليلتى على السطح، أكتفى بضَوء المصباح الصغير، المجاور لعشّة الدجاج، متحمّلة لدغات باعوض الزراعات، فلا مَفرّ لى سوى التفوُّق، ولا مُنقذ إلا تحقق حلمى، الالتحاق بكلية الإعلام.. سأكون مذيعة قادرة على فضح قسوة المجتمع، هذا ما كنت أقوله لنفسى حتى أصبّرها على أوجاع تلك الأيام السوداء، التى ستنتهى حتمًا فور دخولى الكلية، وانتقالى للقاهرة، تاركة ورائى أبى وزوجته، وقريتى بالكامل.

لكن كيف يحدث ذلك؟ ومدرسو قريتنا لا يشرحون إلا فتات المواد فى المَدرسة، ويبذلون جهدًا عظيمًا؛ كى لا نفقه شيئًا من شرحهم داخل الفصول، حتى نُجبَرَ على الذهاب لهم فى مراكز دروسهم الخصوصية.. وأنتم تعلمون أننى لا أملك سوى قيمة قرط وخاتم أمّى، فقط خمسة آلاف جنيه، ولا أحصل على قرش من والدى، الذى لم يسألنى يومًا عن سر قطعة الملابس التى أشتريها كل شهريْن أو ثلاثة.

■■

لم يَقُل لى ذات مرّة: من أين لك هذا؟! كنت أسأل نفسى: ألهذه الدرجة لا تَهمه ابنته، وهو يعلم أن شباب القرية يتهافتون على وصالها؟ رأيتهم كثيرًا وهم يثقبون جسدى بنظراتهم؛ كلما مررتُ هنا أو هناك، ويلقون بأرقام هواتفهم فى أوراق صغيرة أمامى، ويتبعوننى إذا وجدونى أسير فى حارة خالية من البَشر.

لم ينشغل أحدٌ بسر أموالى، إلا أن والدى قال لى يومًا: «كفاية سَلف من صحباتك»، ولم أكترث بالرد عليه، ببساطة لأننى رأيته يجد مبررًا أمام نفسه لهذه الأموال؛ كى يريح ضميره، المَيّت فى الأصل.. لكننى تصرفت بحكمة فى كل جنيه، وحرمت نفسى من قطعة الشوكولاتة التى كنت أتمناها كلما مررت على البقال، وبالطبع لم ألجأ للدروس الخصوصية، فما باليَد حيلة.

لم يكن أمامى سوى الانكفاء على الكتاب المَدرسى، وبالكاد أنفقتُ ألف جنيه فقط طوال عامى الثالث الثانوى، ما بين ملابس وأدوات مَدرسية، وللأمانة استعنت ببعض الكتب الخارجية، ولو أننى اشتريتها من بائع الكتب القديمة، الذى يقبع فى كشك صغير بمدخل القرية، حتى جاء الامتحان، ولم يكتب الله أن أهان.

انتهت الامتحانات بسلام، كنت أحفظ بلا فهم، اللهم إلا بعض الأجزاء فى التاريخ والفلسفة، ولحُسن الحَظ أصابنى الشغف بالإنجليزية منذ صغرى، فأبليت فى امتحانها بلاءً حَسَنًا، إلا أننى جلست على كومة من اللهب حتى ظهرت النتيجة، فلم يتركنى والدى وزوجته لحالى، وسرعان ما تحولت العَلقات الساخنة؛ التى أعاقبُ بها على رفضى العرسان، إلى ضرب يكاد يفضى للموت، لكننى قاومت حتى النفس الأخير، بل وجدت نفسى أواجههما بسَوءاتهما، ولا أبالى بصفعاتهما المؤلمة، ولا حديثهما الفج، باتت أذنـاى من طين وعجين، حتى جاءت اللحظة الفاصلة. ■

نهاركم سعيد ويومكم بيضحك

هشام سليمان

فى كل مَرَّة وفى كل مَقال هنتكلم فيه مع بعض عن لحظة سعادة.. ممكن تكون اللحظة دى فيها سعادة لكل اللى حواليك وتكون لحظة حزن ليك أنت شخصيًا والعكس كمان ممكن يحصل تكون لحظة سعادة ليك وتكون لحظة حزن لكل اللى حواليك.. وبالمناسبة مش بالضرورة الناس اللى تكون فى لحظة السعادة تكون أنت زعلان منهم شخصيًا أو لما تكون أنت فى لحظة السعادة يكونوا الناس اللى مش فى اللحظة دى زعلانين منك أنت.

روزا 2

لأنها هتكون لحظة سعادة بتخصك لوحدك أو بتخص صاحب اللحظة لوحده.

خلينا أشرح لكم أكتر علشان تفهموا قصدى..

لما بيتولد أى مولود ويجى الدنيا بيضربه الدكتور علشان يتأكد من انتباهه ويبدأ يعيط.. صوت عياط المولود ده بيكون هو لحظة السعادة لكل اللى حواليه.. لحظة سعادة لأمّه.. لحظة سعادة لأبوه.. لما بيسمعوا صوته لحظة سعادة للدكتور اللى أخرجه إلى الدنيا رغم أن المولود شخصيّا بيكون بيبكى بس أدخل لحظة سعادة على كل اللى حواليه.

لحظات كتير من السعادة هنتكلم عنها كل أسبوع.. لحظة بتكون فارقة فى حياة كل منّا، لحظة بيتبَدّل الحال لحال وبعدها بنحس بلحظة سعادة.. لحظات سعادة كتير هنتكلم عنها بتحصل لناس كتير سواء لحظة سعادة بالنصر أو لحظة سعادة بوظيفة كان صعب قوى تتحقق.. لحظة سعادة بمنصب مستحيل أو لحظة سعادة للشفاء من مرض صعب جدّا الشفاء منه.

كل أسبوع هنتكلم عن لحظات كتير واللى هيجمع كل اللحظات دى أنها هتكون لحظات إيجابية دائمًا أبدًا هحاول أخلى فيها أن نهاركم يبقى سعيد ويومكم بيضحك..

حتى لو الموضوع ميخصَّكش من قريب أو بعيد بس هيكون فيه لحظة سعادة.. لحظة السعادة بتغير يومنا واللحظة بتاعة النهارده هى لحظة حلم كان بيراود طفلة اسمها «رحمة» لما كان عندها ١٤ سنة أنها تكون مذيعة.

طفلة كانت شايفة أن الأمل بتاعها أنها تكون مذيعة ممكن يتحقق وعلشان مامتها اسمها «أمل» كان بالنسبة لمامتها برضو فى أمل لأنها تعبت مع رحمها من وهى لسّه مولودة.. تعبت معاها هى وباباها فى تعليمها فى إعدادها فى مذكراتها وقدروا يوصلوا مع «رحمة» لدرجة البكالريوس فى السياحة.

بس حتى الأمل.. اللّى عند «أمل» كان بيتوقف وعقلها بيقف عن التفكير وإزاى تقول لرحمة بلاش الحلم ده بلاش يا رحمة تبقى عندك أمل تبقى مذيعة..

لما كانت «رحمة» بتقف قدّام باباها ومامتها تلعب وتعمل مذيعة كانوا شايفين قمر بتتكلم قدّامهم.. بس لما كانت «رحمة» بتقف تلعب مذيعة قدّام المرايا كانت المرايا بتعكس الحقيقة «رحمة» طفلة مصابة بمتلازمة داون سندروام..

باباها وماماتها شايفنها قمر وهى قمر بس المرايا بلا مشاعر مبتعكسّ غير الحقيقة.. الحقيقة أن من رابع المستحيلات «رحمة» تكون مذيعة، لكن زى ما كان عند «رحمة» وأمل مامتها يقين بربنا إن يمكن ليه لا وعلشان من أسماء ربنا الرحمة، فرئيس مصر عبدالفتاح السيسى قرر يكون عام الـ٢٠١٨ عام ذوى القدرات الخاصة.. فربنا يحط الرحمة فى قلبى أنا شخصيّا لأعرض على «أحمد الطاهرى» رئيس تحرير برنامج ٨ الصبح فكرة أن «رحمة» تقدم فى البرنامج وعلشان «أحمد» كان عنده رحمة وافق..

وأخدت موافقة إدارة «دى إم سى» اللى ربنا وضع فى قلوبهم الرحمة ويوافقوا.. لتصبح «رحمة» أول مذيعة فى العالم بتقدم برنامج على الهواء مباشرة يوم فى الأسبوع ويوم مسجل لتصبح «رحمة» رحمة لكل أب وكل أم عندهم ابن أو ابنة بمتلازمة داون تفتح قدامهم الأمل بأن الدنيا ممكن تتغير والأيام ليهم تبقى سعيدة وأيامهم كلها ممكن تبدأ تضحك ليهم تانى..

فى كل مَرّة هحكى معاكم قصص علشان أقولكم «نهاركم سعيد ويومكم بيضحك». ■

حكاية الرقص الشرقى

الحلقة الخامسة

5

كاريوكا صاحبة نصيب الأسد فى عدد الأفلام وسهير زكى الأقل حظًا رغم موهبتها

راقصات «هزوا» شباك تذاكر السينما

حلقات تكتبها:

إيمان القصاص

منذ بدايات السينما وإقبال الناس عليها كان للرقص الشرقى لنجمات تلك الأيام وجودٌ قويٌ وظاهرٌ فى تلك الأفلام، فالكثير من مُشاهدى السينما لم يكونوا يذهبون إلى الكازينوهات والملاهى الليلية ليشاهدوا ما تقدّمه الراقصات فى تلك الأماكن، وبالتالى كانوا يكتفون بمشاهدتهن على شاشة السينما، كان الناس يعرفون أخبار هؤلاء الراقصات من خلال صفحات الفن فى المجلات الفنية، لكنهم كان بهم رغبة شديدة فى رؤيتهن، وهذا ما حققته لهم مُشاهدة الأفلام السينمائية.

ولأن الراقصة تَعرف أن عمرَها الفنى قصير فقد اتجهت معظمهن إلى العمل فى السينما أو المسلسلات التليفزيونية، مثل فيفى عبده ودينا، نجحن كراقصات كما نجحن أيضا كمُمثلات، وكل هؤلاء كان مَثلهن الأعلى الفنانة تحيةِ كاريوكا التى كانت مبدعة كراقصة، وأيضا كممثلة أشاد بها الجمهور والنقاد، فلا أحدٌ ينسَى لها أدوارَها المتميزة فى أفلام: (أم العروسة، وشباب امرأة، وخلى بالك من زوزو).

وشيئًا فشيئًا أصبحت الراقصات من عناصر الفيلم السينمائى المهمة، وعندما تقدمت هؤلاء الراقصات فى السّن واكتسبن الخبرة السينمائية أصبحن ممثلات ونجمات أيضا فى التمثيل كما كن فى الرقص، وهذه بعض النماذج نتوقف أمامَها ممن لهن بصمة متميزة من خلال رقصهن فى السينما.

■ كاريوكا.. نصيب الأسد

عملت الراقصة تحية كاريوكا مع غالبية مخرجى السينما ونجومها المشاهير، قدمت

أدوارًا عظيمة ومختلفة وليس دور الراقصة فقط، ولكن قدمت أدوارًا مختلفة مثل: (احنا التلامذة، وصباح الخير يا زوجتى العزيزة، والفتوة، وشباب امرأة) وغيرها من الأعمال الجادة.

أمّا أفضل الأدوار التى قدمت فيها دور الراقصة فدعونا نتوقف عند فيلم (لعبة الست) مع الكوميديان العظيم نجيب الريحانى، فلعبت دور فتاة متطلعة تحلم بالشهرة السريعة من خلال موهبتها كراقصة فتقرر الانفصال عن زوجها «حسن» لتسلك طريق النجومية.

ولا ننسى رقصتها الشهيرة فى فيلم (شباب امرأة) عام ١٩٥٦، ورُغْمَ أنها لم تقم بدور راقصة وإنما امرأة صاحبة سرجة خيول، شهوانية، فقد رقصت للشاب الريفى شكرى سرحان الذى يقطن لديها لكى تغويه وتستقطبَه.

كما قدمت رقصة شهيرة أيضًا فى فيلم (احنا التلامذة) أمام أبطال العمل عمر الشريف ويوسف فخر الدين وشكرى سرحان.

■ سامية جمال: زواج الرقص الشرقى بالغربى

كانت سامية جمال تبدع فى الرقص على أنغام أغانى فريد الأطرش فى الأفلام، إلى جانب رقصها أيضًا على ألحان محمد فوزى، بالإضافة إلى دمجها الرقص الشرقى بالغربى وأصبح لها مَدرسة خاصة بها، وقد تميزت فى التمثيل أيضًا إلى جانب تقديمها للرقصات مثل فيلمها الشهير (الرجل الثانى) مع الفنان رشدى أباظة وصباح.

ومن أدوارها السينمائية المميزة أيضًا دورها فى فيلم (أمير الانتقام) الذى قامت بدور الجارية التى تكن كل الولاء لمالكها الذى سُجن ظلمًا وخرج لينتقم، ورقصت فى هذا العمل رقصات ملائمة للدور الذى تقدمه عن فترة المماليك بأداء مبهر ومتمكن.

■ نعيمة عاكف النجمة الشاملة

من الراقصات أيضًا اللاتى تميزن فى السينما نعيمة عاكف، التى جمعت بين أدائها التمثيلى المتميز خفيف الظل فاستطاعت الجمع بين الرقص وغنائها المنولوج، وكان من أشهَر أدوارها فى السينما فيلم (أمير الدهاء)، وقدمت نعيمة دور الجارية «زُمردة» التى قدّمته من قبل الراقصة سامية جمال فى فيلم (أمير الانتقام).

من أعمالها الشهيرة أيضًا التى قدّمت فيها دورًا متميزًا ولافتًا للنظر فيلم (خلخال حبيبى)، وقدمت دور الراقصة «بهية» التى ترقص فى مقهى تمتلكه أمُها وتحب شابًا جاء ليشاهدها وهى ترقص، ولا ننسى أيضًا دورَها فى (تمر حنة) وفيلم (أربع بنات وضابط).

■ نجوى فؤاد ولحن عبدالوهاب

تربّعتْ الراقصة نجوى فؤاد على قمة الرقص الشرقى لفترة طويلة، وعندما بدأت العمل فى السينما قدمت الكثير والكثير من الأفلام المهمة، أهمها فيلم (ملاك وشيطان) الراقصة فى الملاهى الليلية تطرها الظروف أن تتستر على خطف فتاة صغيرة، ولكنها تعاملها بمنتهى الحب والحنان كأنها ابنتها التى لم تلدها، ولفت الأنظار بهذا العمل إلى أدائها التمثيلى الجيد مما توالت عليها الأعمال بعد ذلك، وقد

نجوى فؤاد لحن لها موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب موسيقى خاصة لترقص عليها

لحن لها الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب موسيقى خاصة لها للرقص عليها.

■ على أنغام أم كلثوم

تجربة سهير زكى مع السينما كانت محدودة، للغاية رُغْمَ أدائها التمثيلى الجيد الذى قدّمته فى الأعمال التى ظهرت فيها ولقبت وقتها بـ«المَلكة» من رقصها بهدوء وتمكُّن، إلا أنها لم تنطلق فى السينما بشكل يتناسب مع تلك الموهبة ولكن يحسب لها أنها كانت أول راقصة ترقص على أغانى أم كلثوم؛ فإن فبراعتها فى الرقص الشرقى غلبت على أدائها التمثيلى، ومن أهم الأفلام التى شاركت فيها إلى جانب الرقص (رجال فى المصيدة) و(ألو أنا القطة و(العبيط).

■ زمن فيفى عبده

وبعد ذلك دخل الرقص الشرقى مرحلة جديدة بظهور الفنانة فيفى عبده، وذلك لفترة قصيرة واتجهت سريعًا إلى التمثيل وتركت بصمة فى الأعمال التى قدمتها، سواء فى السينما أو المسرح أو الدراما، ولعل أهم ما قدمته فى السينما فيلم (قدارة) جسّدت شخصية فتاة فقيرة باعتها أمُها لأحد الأثرياء العرب ليتزوجها عرفيًا، وعندما وضعت مولودها خطفه وسرق عَقد الزواج، أصابتها الصدمة بعُقدة نفسية جعلتها تصطاد الفتيات الفقيرات وتزوّجهن عرفيًا.

أمّا الدورُ الآخر الذى تميزت فيه أيضًا فهو فى فيلم (امرأة واحدة لا تكفى) أمام الراحل أحمد زكى، وقامت بدور فتاة شعبية يجد لديها البطل الدفء والحنان وكانت ترقص له رقص فتاة ترقص لحبيبها.

■ دينا والسينما الراقصة

عندما اتجهت الراقصة دينا إلى السينما كانت تمُر بفترة ركود، وبدأت تستعين براقصة ضمن أحداث الفيلم لكى تروج له وتجذب أكبر عدد من الجمهور، مثل الأعمال التى قدمتها مع المطرب سعد الصغير، وأذكر منها فيلم (عليا الطرب بالثلاثة).

■ أفلام بطولة راقصة

واهتمت السينما أيضًا بإعطاء الراقصة دور البطولة فى السينما مثلما رأينا فى فيلم (الراقصة والسياسى) من أهم الأفلام التى تناولت الرقص الشرقى، هو فيلم «للكبار فقط» بكل ما تحمله الكلمة من معان، ولا أقصد للكبار فقط بأن مَشاهده جريئة، ولكن الجرأة تكمن فى مضمونه؛ خصوصًا مَشهد النهاية، فقد استطاع السينارست وحيد حامد رسْم شخصية الراقصة جميلة طموحة واثقة من نفسها محبوبة ومتطورة، فالراقصة والسياسى وجهان لعُملة واحدة، كل واحد منهما يرقص بطريقته من خلال الحوار أو اللغة السينمائية.

وقبل ذلك بسنوات طويلة لعبت نادية لطفى دور راقصة وقعت فى حُب الطالب الجامعى عبدالحليم حافظ، وكان ذلك فى فيلم (أبى فوق الشجرة) الذى حقق أرقامًا قياسية وظل ٥٢ أسبوعًا فى السينما.

ولا يزال الرقصُ رُكنًا مُهمًا من أركان معظم الأفلام السينمائية، ولكن الجدير بالذكْر أن الرقصَ كما استطاع أن يحتل مكانة مهمة فى السينما؛ أن يحتل مكانة فى السينما، فقد فشل تمامًا أن يكون له دورٌ فى المسلسلات التليفزيونية بحجة أن التليفزيون موجود فى كل بيت، أمّا السينما فأنت تذهب إليها!. ■

روز2

يرسمها:
مصطفى سالم

هو..

ترسمها:
ياسمين مأمون

وهى